



فن فهمه صعب على المحافظين والإسلاميين

مناسبتين وتخصيص غلاف مالي لذلك محل نقمة لدى الكثيرين الذين اعتبروا أن هناك أولويات أخرى قبل الاهتمام بترميم التمثال، وأبدى هؤلاء تعاطفهم مع شباب فقير قضى ثمانية أيام في بحر سقط فيها جثة هامة ولم يبد خلالها المسؤولون جدية لإنقاذه، ورد هؤلاء "حياة عياش أعلى من تمثال عين الفوارة".

يبسود أن التماثيل والقطع الفنية في الجزائر لا حظ لها مع محيطها، فقد ارتبط تشييدها في الغالب بأزمات اقتصادية واجتماعية، بدعت الغاضبين إلى التضحية أو التساؤل عن جدوى بناء "مقام الشهيد" في حين أن البلاد كانت آنذاك، في ثمانينات القرن الماضي، تحت وطأة أزمة خانقة.

ويقول باحثون في التاريخ إن السلطة تفشل في الكثير من الأحيان في تمرير الرسالة التي تريدها من وراء تشييد هذه الأعمال ولم تترك بأن للمجسم مصداقية ونزاهة ورسالة يجب أخذها بعين الاعتبار، فقد كاد تمثال للأمير عبدالقادر في مدينة البويرة "تشرق العاصمة" في السابق أن يتسبب في فتنة بين المكونات الأمازيغية والعربية، بسبب شكل التمثال الذي رآه البعض أنه يتوعددهم بسيفه.

وفي مدينة قسنطينة بشرق البلاد، لقي تمثال العلامة والصلح الاجتماعي خلال حقبة الاستعمار عبدالحميد بن باديس مصيرا مشابها حيث تعرض للإهانة والأذى من طرف سكان المدينة بسبب فشل النحات في التجسيد الحقيقي لتفاصيل وملامح ابن باديس. كما اعتبره كثيرون لا يعد أولوية فياسا بمعاناة المدينة من نقص الخدمات.

وشكل دخول تيارات دينية على خط العلاقة المتوترة مع المعالم التاريخية مرحلة أخرى من العدائية فقد تم إدراجها في خانة الرموز الشركية، فاختفت كنائس وعضت بمساجد كترجمة لانتصار شامل على المستعمر واتلفت معالم بكاملها كما هو الشأن في محافظة البويرة "تشرق العاصمة" حيث أزيح تمثال دومينيك باسيتي أول رئيس بلدية فرنسي في بلدة الأخرزية الذي قتل في 1871 في انتفاضة للأهالي ضد السلطة الجديدة وشيّد في مكانه مسجد.

وحدث نفس الأمر مع كنسنة جيجل وتمثال تبسة ومعالم وهران وغيرها. وبقدر ما لبى السلوك رغبة داخلية للكثيرين، فإن المهتمين بالتاريخ يرون المسألة من زاوية أخرى ويقولون بأن المعلم أو التمثال مهما كانت خلفيته ورمزيته فهو يؤرخ لمرحلة تاريخية، وأن خير شاهد للذاكرة هي الأبله الملموسة، وكان بالإمكان الاحتفاظ بذلك الموروث ليكون أول من يدين الاستعمار، لأن الغاية ليس في الاحتفاظ بدور لها فالأمر حساس في هذا الشأن وإنما لنقل الرسالة للأجيال الصاعدة.

التوظيف الأيديولوجي

تتحفظ ردود فعل الشارع على بعض التماثيل والنصب بخيط متين بين ما نحس في زمن ماض وبين ما شيدته سلطة الاستقلال، فالأدلجة والرسائل السياسية من المسائل المستقرة بشكل من الأشكال للجمهور. وكانت مسامرة الحكومة لترميم تمثال عين الفوارة في

والأساطير لا يزال يتداولونها إلى غاية الآن.

وفي العاصمة، ظل إلى وقت قريب معلم "مقام الشهيد" الذي أمر الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد بتشيدته ليكون رمزا للشهداء ثورة التحرير ومعلما يزين العاصمة يلقب بـ"مُبل" حيث يحمل الوصف لمسة الإسلاميين الذين اعتبروه رمزا من رموز الشرك وشبهوه بالله قريش. وظل الأمر على هذا الوضع إلى غاية

مرحلة ما قبل العشرية الحمراء (1990-2000)، حيث أجرى المجتمع الجزائري مراجعة ذاتية تجاه الكثير من المسائل خاصة لما تحول المعلم إلى رمز حقيقي للعاصمة الجزائرية وشكل هندسي وفني يوشح هضبة صاحبة المدينة.

ويتبنى المواقف العدائية للجزائريين تجاه التماثيل والنصب التذكارية وليدة ردود فعل مزاجية وعدائية لما مشبهوه ساد وجودها، فالأهالي الذين انتفضوا ضدها بعد الاستقلال أو خلال ثورة التحرير (1954 - 1962) كان يحركهم الشعور بالانتقام نحو كل ما هو منتج استعماري أو ما يرمز له ولم يكن عندهم أي مجال لنقود أو استيعاب للمسة الفنية أو التاريخية.

وكان الانتداع والانفصالات المفرطة، قد غلبا على وجدان شعب يعشق الحرية ويمقت الاستعمار، لكنه لا يغير أهمية لتلك التركة بنفس الشكل والأهمية عندما يتعلق الأمر بالعقارات والمنازل التي تركها الفرنسيون خلفهم حينما خرجوا في 1962 رغم ما لتلك التماثيل والمعالم من رمزية تاريخية كان يمكن أن تبقى شاهدة على مرور فاشل لفرنسا على هذه البلاد كما مرت قوى استعمارية أخرى.

«أبومطرقة».. من مذهب إلى تيار يعادي التماثيل والنصب التذكارية في الجزائر

الانحياز المفرط تجاه الدين يدمر المعالم الأثرية

وإذا كانت قضية العري أو التبرج قبل أن تكون مسألة شخصية وقناعة ذاتية، تكفلها التشريعات الوضعية وتعالجها الأديان السماوية، وإذا كان الغرض حماية لغريزة تذكورية من الاستفزاز فإن اللباس المنحصر بغزو المدن والشوارع الجزائرية في كل وقت ولم يتم الانزعاج منه إلا في حالات نادرة خلال نزوة تنامي التيار الديني في مطلع تسعينات القرن الماضي، مما يفرز موقفا نمطيا من الفن بشكل عام، وعلاقة عداوة بين مخيال شعبي وبين النصب والتماثيل.

وكما ألفت حول "أبومطرقة"، الشاب المتحسي أو التيار المعادي، القصص والنفوس ومعسكر والعاصمة، أو السير في موجة سياسية أقرت انتقالا مشوها في الجزائر، فكان الأجدد بهؤلاء الانتفاذ إلى عقدهم النفسية تجاه الأثني، أو المساهمة في إنتاج نخبة حاكمة مرفوضة، قبل الهجوم على تمثال عين الفوارة، أو تماثيل معسكر أو العاصمة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جدير به التفرغ لردع الفساد وغيره من الممارسات غير القانونية قبل الانتقام من تماثيل صماء.

ومع ذلك تبقى الجينات التي ورثها الجزائريون عن "الكاهنة" التي أحرقت الأخضر واليابس، من تونس إلى طنجة، لكي لا ينعم بها جنود الفاتح الإسلامي عقبه بن نافع، بعدما استشرست بوابر الهزيمة أمام جيشه، وقبلها الزير سالم الذي أباد قبيلة بأكملها انتقاما لقتل أخيه، هي التي صنعت ولو نسبيا معالم هذه الشخصية، التي تحمل في طياتها بذور التمرد والاندفاع لرفض دلالات ومعاني الاستفزاز، حتى ولو كانت مجرد أوهام متراكمة من الماضي.

أحكام مطلقة

وكما انتفض "أبومطرقة" على تماثيل عين الفوارة ومعسكر والعاصمة سببه آخرون في مواقف مشابهة، ففي مدينة جيجل بشرق البلاد تم محو كينسة كانت تزين عمران المدينة من الوجود، لاسيما إلا لأنها تمثل في نظر الذين سووها مع الأرض رمزا من رموز الاستعمار السياسي والديني، وفي مدينة تبسة أيضا يروى أن سكان المدينة استفاقوا ذات صباح على تمثال روماني اختفى للأبد ونسجت حوله الروايات

تم تدمير تمثال امرأة في مدينة معسكر الواقعة بغرب الجزائر لكونها عارية بحسب البعض حيث ترتدي قميص نوم وترضع طفلها، وهذه الحادثة ليست سوى سلسلة في حلقة طويلة من عداء التماثيل والنصب التذكارية في الجزائر الذي تحول إلى تيار تغذى على أفكار المحافظين والإسلاميين ومغالطاتهم البنية على فكر متطرف لا يستوعب الأبعاد الفنية للمعالم التي تم تشييدها بل يختزلها في رؤية ظلامية ضيقة تحولت مع الوقت من مذهب إلى تيار يتسع شيئا فشيئا.

المصير الذي لقيه تمثال مدينة سطيف منذ عامين، وقيله العديد من التماثيل التي تم تدميرها أو اختفت تماما في مدن ومحافظات جزائرية عديدة، فإن التخريب الذي تعرضت له جدارية فنية في العاصمة من طرف بعض الشبان المنحدرين من الوعاء السياسي الداعم للسلطة استدعى تدخل جهات حكومية لحمايتها وإعادة تشكيل تفاصيلها التي اتهمها المحافظون بحمل رموز الماسونية والانحلال الأخلاقي والمثلية.

عقدة الأثني

وتتضارب الروايات الشعبية والتاريخية حول الأسباب الحقيقية لتوتر العلاقة بين الجزائريين والتماثيل والمعالم الأثرية، لكنها تجمع على أنها ارتبطت بمحطات تاريخية ووجدانية مستقرة للذاكرة الشعبية وللشاعر فيما انتهت ردود الفعل المتراكمة إلى طمس جزء من ذلك التاريخ ومن تلك الذاكرة.

وإن كان "أبومطرقة" الذي انتقم لأصوليته الدينية من نهود تمثال المرأة العارية في مدينة عين الفوارة وأثار جدلا صاحباً لدى الرأي العام بين منذ ومستوطن لفعلة المشينة وبين مناصر ومتعاطف مع الرجل دفاعا عن شرف وقيم سكان المدينة، فإن تجارب مماثلة عرفتها تماثيل كثيرة في عدد من المدن الجزائرية حملت خيطا رفيعا بين إشكالات التاريخ والدين والتقاليد.

ويبدو أن السلفي، الذي هالته النهود المخوثة على صدر تمثال لمرأة عارية عبر عن موقف تيار ديني وأيديولوجي قريب أكثر من الغوغائية والسطحية، قد كسب انصارا إضافيين بعد انضمام ناشطين كانوا من المحمسين لانتخاب عبدالحميد تيون رئيسا للبلاد رغم الرفض الشعبي له ولانتخابات لكنهم صاروا من المعادين للمعالم الفنية والتاريخية، مما يوحي بأن المسألة لم تعد تقتصر على تيار ديني معين بل تحولت إلى تيار شعبي برمته.



صابر بلدي
صحافي جزائري

الجزائر - توترت علاقة الجزائريين بالتماثيل والنصب التذكارية والمعالم الأثرية في البلاد ليس وليد زمن "أبومطرقة"، الذي شوّه تمثال امرأة سمراء ترتدي قميص نوم وترضع طفلها، في مدينة معسكر بغرب البلاد، لا ذنب لها إلا كونها عارية وبالقرب من مسجد في الحي، وإنما يعود إلى عقود مضت حيث تكاد تحتفظ كل مدينة بقصة حول تحطيم أو اختفاء تمثال من التماثيل التي كانت تزين ساحاتها أو تمثل معلما له أهمية تاريخية وفنية تضبط عليه المواعيد واللقاءات.

هشم الشخص الذي أصبح يعرف في الجزائر بتسمية "أبومطرقة" في مناسبتين سابقتين نهود تمثال المرأة العارية في عين الفوارة بمدينة سطيف في شرق الجزائر.

«أبومطرقة» بات عقيدة اجتماعية تخفي أزمة عميقة تغذي بأفكار التطرف الديني وبالمفاهيم الخاطئة التي يروج لها الإسلاميون

ولم يعد "أبومطرقة" ذلك الشاب الذي "انتقم للدين والتقاليد المحافظة" بل بات عقيدة اجتماعية وثقافية تخفي وراءها أزمة عميقة وموقفا نمطيا تجاه تماثيل ومنحوتات هذه الساحة أو ذلك الشارع، تغذي بأفكار التطرف الديني وبالمفاهيم الخاطئة التي أنبرى لها الإسلاميون والمحافظون والمزايديون في تقييد الأعراف الموروثة.

وإذا كان تشويه تمثال المرأة السمراء في مدينة معسكر خلال الأسابيع الماضية قد أعاد إلى الأذهان سيناريو

تنظيم داعش يواصل نشاطه الافتراضي باعتماد أساليب المراهقة والتضليل

واوضح أن قوة غواية تنظيم داعش قد تراجعت على ثلاث مراحل: الأولى بعد مقتل أبو محمد العبداني المتحدث الرسمي باسم داعش أو آخر أغسطس 2016، وهو الملهم الإعلامي لخلايا الإعلام في تنظيم داعش منذ 2013. المرحلة الثانية بعد مقتل مسؤول الإعلام المركزي أبو محمد فرقان عادل الفياض بمدينة الرقة السورية في سبتمبر 2016 والذي يعتقد أنه مؤسس جميع الشبكات الإعلامية لتنظيم داعش ومراكزه الإعلامية التي يستخدمها لإعداد ونشر أيديولوجيته وتحقيق أهدافه الثقافية والسياسية والعسكرية.

والخالصة، بعد مقتل أبو الحسن المهاجر في 26 أكتوبر 2019، النزاع اليميني للبيدادي والمتحدث باسم داعش، وهو المسؤول عن ديوان الإعلام المركزي لتنظيم داعش الذي اختير ليملا الفجوة التي تركها العبداني والفرقان. وأفاد الهاشمي بأن الآلة الإعلامية لداعش تبين في أبريل 2020 أنها تواصل الاحتفاظ برصيد ضخم من موارد التكنولوجيا والخطب والبرادعات ووسائل التجنيد والتمويل والتدريب والتخفي والتكتيكات القتالية وصنع المتفجرات.

ورد متحدث باسم فيسبوك على الدراسة التي أعدها معهد الحوار الاستراتيجي قائلا "أزلنا بالفعل أكثر من 250 حسابا أشار إليها تقرير المعهد، ونزاع الحسابات الـ30 المتبقية وفقا لسياساتنا". وتابع "لا نتهاون مع الدعاية الإرهابية على منصاتنا، ونزيل المحتوى والحسابات التي تنتهك سياساتنا بمجرد التعرف عليها".

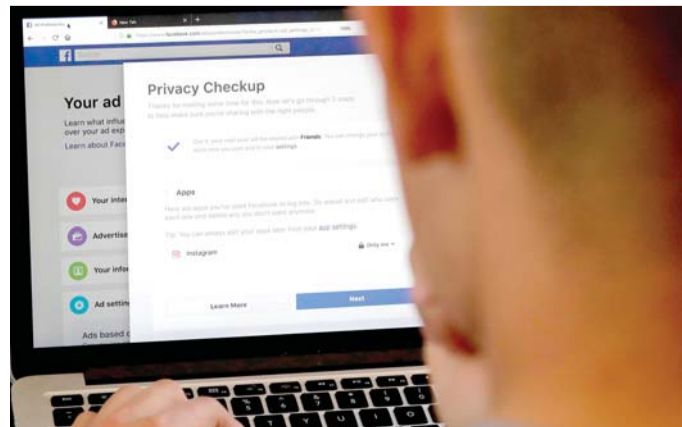
وكان الخبير الأمني البارز هشام الهاشمي، الذي تم اغتياله مؤخرا في العراق على يد ميليشيات شيعية، قد ناقش موضوع "إعلام داعش عام 2020" في مقال نشره موقع بيت الإعلام العراقي وقال فيه إن تنظيم الدولة الإسلامية "حاول مؤخرا زيادة حضوره الإعلامي على منصات التواصل الاجتماعي من جديد، بعد انهيار إعلامه الواضح في أكتوبر 2019". وأشار إلى ما كشفه مركز الإعلام الرقمي العراقي بخصوص زيادة أعداد حسابات أعضاء تنظيم داعش وانصاره على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة موقع فيسبوك. وقال الهاشمي إن هذه العودة جاءت خلال الأشهر الماضية التي رافقت أزمة كورونا وأدت إلى تأخير استجابة دعم فيسبوك لطلبات حذف الحسابات.

هي ما تضمن لهم بقاء المحتوى الذي يبثونه على فيسبوك. وتلجأ الحسابات التابعة لتنظيم داعش على فيسبوك إلى تقسيم النص واستخدام علامات ترقيم غريبة للتهرب من أي أدوات تبحث عن الكلمات الرئيسية. كما تعتمد أسلوب عدم وضوح علامة تنظيم الدولة الإسلامية أو إضافة مؤثرات خاصة للفيديو على فيسبوك. وتضيف هذه الحسابات علامة تجارية شهيرة أو محتوى إخباري من قساة فضائية معروفة أو أغاني راتجة لبث محتوى إخباري خاص بتنظيم الدولة الإسلامية.

وحاول موقع فيسبوك تجربة نفسه من تهمة إتاحة الفرصة لاستمرار نشاط الجهاديين بالقول إنه يتصدى بكل جهوده للدعاية الإرهابية ولا يتساهل معها وإنه أزال أغلب هذه الحسابات ذات الصلة بتنظيم داعش. وقال عباد "الأساليب التي نسلط الضوء عليها في تقريرنا تتغير أثناء حديثنا، ودون فهم واضح لهذه الشبكات وسلوكياتها، فإن طرق الاستجابة التي تعتمد على عمليات الإزالة لن تفعل الكثير لقمع التوسع في دعم تنظيم الدولة الإسلامية عبر منصاتنا الأساسية".

وتمكن الباحثون الذين أجروا الدراسة من تتبع شبكات مؤيدي لتنظيم داعش هدفها "التأمر وإعداد وشن غارات إلكترونية" على صفحات أخرى بفيسبوك. وقال هؤلاء إنهم شاهدوا عملية نشر لحظية لتعليقات لإغراق أقسام التعليقات بالمواقع بمواد إرهابية. وأوضحت الدراسة أن الطريقة التي تعلم بها مؤيدو تنظيم الدولة الإسلامية تعديل محتوهم للتهرب من الضوابط

وتحتاج أنظمة الكشف الآلي واليدوي في فيسبوك، وفق الدراسة، إلى تحديث وإجراء تحقيقات استباقية تستهدف تكرار الحسابات المسيئة وعلاقتها بالحسابات الأخرى على الموقع. وأكد عباد على أن فيسبوك "يحتاج إلى إعادة فحص بروتوكولات أمان الحسابات، والتعرف على كيفية تخريب المستخدمين لهذه الإجراءات الأمنية".



خلايا داعش النائمة تنشط باستمرار

لنحذ - لا تزال مراهقة تنظيم الدولة الإسلامية متواصلة على وسائل التواصل الاجتماعي باستعمال العشرات من الحسابات من أجل الدعاية الإرهابية واختراق فيسبوك وتدريب الجهاديين على ذلك عبر استغلال عدم رصدنا بحسب ما كشفت دراسة جديدة أعدها معهد الحوار الاستراتيجي الذي يقع مقره في العاصمة لندن.

وأوضح مصطفى عباد، المشرف على الدراسة بأن "تقريرنا يتناول سلوك المراهقة لحسابات تدعم تنظيم الدولة الإسلامية على فيسبوك، مبينا أنها "عملية غوص عميق داخل أعمال شبكة دعم إرهابية واحدة، مرتبطة بعدد من الشبكات الأخرى عبر المنصة". وأكدت الدراسة أن حسابات على موقع فيسبوك تابعة لتنظيم داعش، استطاع المعهد تتبع 288 حسابا منها طيلة ثلاثة أشهر، تعتمد مزج المواد التي تبثها مع محتوى وسائل إعلام حقيقية مستغلة تغرات في أنظمة فيسبوك حيث سجلت من خلالها الآلاف من المشاهدات لموادها كما تنفذ اختراقات على فيسبوك بالإضافة إلى تدريب جهاديين على ذلك من خلال بث فيديوهات تعليمية.